



Original article

Rhetorical Paradox in Ancient Arabic Inscriptions: A Study of Semantic and Persuasive Generative Strategies

Furqan Mohammed Aziz

- College of Basic Education Al-Muthanna University Iraq Scientific Medal of Excellence

ABSTRACT

This study aims to analyze rhetorical contradiction in ancient Arabic inscriptions, focusing on its pragmatic and argumentative functions within written discourse. The research examines Nabataean, Thamudic, Safaitic, and Lihyanite inscriptions, identifying the patterns of rhetorical contradiction and their impact on the audience within various cultural and political contexts.

Findings indicate that rhetorical contradiction was not merely a stylistic device but a tool for redefining concepts, enhancing persuasion, and legitimizing political and religious authority. It was also employed to stimulate critical thinking and reshape social values.

Furthermore, the study highlights the role of philosophical contradiction in shaping Arab perspectives on life and death, strength and weakness, knowledge and ignorance, reflecting a deeply rooted philosophical inclination in pre-Islamic Arab culture. This research contributes to a deeper understanding of how ancient Arabs used rhetorical contradiction as a linguistic tool with broad social and intellectual influence.

*Correspondence author:
furqanmohammed451@mu.edu.iq

Received: 29 November 2025
Accepted: 15 December 2025
Published: 01 February 2026

DOI:

<https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss1.1456>



1812-0512 /© 2026 The Author(s). Published by Wasit Journal for Humanities Sciences, Wasit University. This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (<http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/>).

Cite:

Aziz, F. M. (2026). Rhetorical Paradox in Ancient Arabic Inscriptions: A Study of Semantic and Persuasive Generative Strategies. Wasit Journal for Human Sciences, 22(1). <https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss1.1478>

Keywords: Paradox, Rhetoric, Inscriptions, Learning, Equality, Pragmatics, Argumentation, Linguistic Authority, Justice, Persuasion, Strategy

التناقض البلاغي في النقوش العربية القديمة: دراسة في استراتيجيات التوليد الدلالي والإقناعي

أ.م.د. فرقان محمد عزيز
كلية التربية الأساسية – جامعة المثنى

المُستخلص

يهدف البحث إلى تحليل التناقض البلاغي في النقوش العربية القديمة، مع التركيز على وظائفه التداولية والحجاجية في الخطاب المكتوب. استندت الدراسة إلى تحليل النقوش النبطية، الثمودية، الصفوية، واللحيانية، إذ تم تحديد أنماط التناقض البلاغي المستخدمة وتأثيرها في المتلقي والسياق الثقافي والسياسي.

وقد أظهرت النتائج أن التناقض البلاغي لم يكن مجرد أداة أسلوبية، بل كان وسيلة لإعادة تعريف المفاهيم، وتعزيز الإقناع، وإضفاء الشرعية على السلطة السياسية والدينية. كما تم استخدامه لإثارة التفكير النقدي وإعادة تشكيل القيم الاجتماعية.

فضلا عن ذلك، يبرز البحث أثر التناقض الفلسفي في تشكيل رؤية العرب للحياة والموت، القوة والضعف، المعرفة والجهل، مما يعكس وجود نزعة فلسفية متجذرة في الثقافة العربية قبل الإسلام. وقد أسهمت الدراسة في تقديم فهم أعمق لكيفية استعمال العرب القدماء للتناقض البلاغي كأداة لغوية ذات تأثير اجتماعي وفكري واسع.

الكلمات المفتاحية: التناقض، البلاغة، النقوش، التعلم، المساواة، التداولية، الحجاج، السلطة اللغوية، العدل، الإقناع، استراتيجية.

المقدمة:

تعدّ النقوش العربية القديمة من أقدم الشواهد المادية على تطور الوعي اللغوي والبلاغي عند العرب، لأنها ليست مجرد وثائق تاريخية أو أثرية، بل نصوص لغوية مشحونة بالرموز والأساليب الخطابية التي تكشف عن بنية التفكير العربي في مرحلة التكوين الحضاري. فضلا عن أن النقوش شكّلت بما تتضمنه من رسائل سياسية ودينية واجتماعية، ميداناً خصباً لدراسة العلاقة بين اللغة والفكر والسلطة، وبين القول والمقام، وهو ما يجعلها مادة أساسية لقراءة تحولات الوعي العربي المبكر، ومن ثمّ فالبحث يدرس التناقض البلاغي الذي يتجلّى في العبارات المنقوشة التي تجمع بين الأضداد، كالجمع بين العنف والرحمة، أو بين الحرب والتوبة، أو بين الهيمنة والتواضع. وقد بدا هذا التناقض في كثير من النقوش الثمودية، واللحيانية، والنبطية،... الخ، بوصفه استراتيجية بلاغية مقصودة لتوليد المعنى والإقناع ضمن سياق ثقافي تداولي محدد.

وتتبع أهمية البحث من كونه يجمع بين التحليل البلاغي التقليدي كما قررته كتب النقد العربي القديم (كـ«دلائل الإعجاز» و«أسرار البلاغة» لعبد القاهر الجرجاني)، والتحليل التداولي الحديث الذي يستند إلى نظريات Pragmatics و Discourse Analysis و Argumentation Theory. إذ يسعى إلى بناء تصور نظري متكامل حول ما يمكن تسميته بـ«البلاغة النقشية»، أي النظام البلاغي الذي حكم الخطاب العربي في تجلياته الحجرية الأولى؛ ذلك عبر الكشف عن الكيفية التي استعمل بها العرب الأوائل التناقض أداةً لنظم المعنى، لا لنسفه، وللتأثير في المتلقي عبر مسارات الحجاج والإقناع والتبرير والتقريب الدلالي.

المبحث الأول: المفهوم والاصول:

1- التناقض البلاغي:

هو الذي يجمع بين دوال متعارضة ظاهريا في النص، تُقضي الى توليد معنى مركب او تكثيف المدلول؛ فهو يُمثل نوعًا من المفارقة الخطابية التي يُستثمر فيها التضاد الظاهري بين المعاني لخدمة غرض جمالي إقناعي. ويذهب الجاحظ إلى أن القول المحكم قد يشتمل على ظاهرين متناقضين، غير أن العقل يدرك أن جمعهما ليس عن سهو أو خطأ، بل عن قصد وبلاغة) (الجاحظ، 1992). أي إن التناقض البلاغي يشير الى تجاؤر دلالتين متقابلتين أو متصادمتين في نسق لغوي واحد، منتجا أثرًا تأويليًا يتجاوز البنية السطحية للخطاب، ومن ثم رافدًا أساسيًا في بناء الوظيفة الإقناعية، خصوصًا في النصوص التي تتوسل التأثير والتوجيه لا مجرد الإخبار.

وقد أشار اليه عبد القاهر الجرجاني بأنه ليس مجرد تعارض لفظي، بل هو وسيلة دلالية تُستخدم لتعميق المعنى وإبرازه (الجرجاني، 1984) ومن ثم هو مختلف عن التناقض المنطقي، فقد فرق بينهما السكاكي مبينا أن البلاغة قد توظف التناقض لتوليد معانٍ متجددة، على عكس المنطق الذي يسعى إلى تجنب التناقض للوصول إلى الحقيقة (السكاكي، 1987) ومن ثم يختلف عن "التضاد" في الطبيعة والوظيفة؛ إذ يُعنى التضاد الدلالي بالتقابل المعجمي بين الكلمات (مثل: الموت/الحياة، الظلام/النور)، بينما يعتمد التناقض البلاغي على إدخال هذه الثنائيات في نسق تواصلية يخدم سيقًا شعائريًا أو سلطويًا أو ... الخ، مجسدًا فعلاً تأويليًا لا مجرد تقابل لغوي.

ذلك ما أكدته نظريات تحليل الخطاب الحديثة فقد أشار فان دايك إلى أن التناقض قد يكون وسيلة لصياغة رسالة ضمنية تتجاوز المعنى الظاهري للنص ((Dijk، 2006، لانه - بحسب بيرلمان - يستعمل لتعزيز الحجج إقناعا للمتلقي ((Chaim، 1969، في حين ناقش بول ريكور مفهوم "التوتر الدلالي الناتج عن التناقض" بوصفه محققًا للتأويل، إذ لا يُفكك النص إلا عبر اكتشاف الصراع بين الدلالات الظاهرة والخفية (ريكو، 2006)؛ ذلك انه أداة استراتيجية للتأثير التداولي، إذ يُسهم في توجيه المتلقي (جنديل، 2025)، عبر آليات عقلية وعاطفية في آنٍ واحد.

2- النقوش العربية القديمة:

تعد النقوش العربية القديمة من المصادر المهمة لدراسة لغة وثقافة الحضارات القديمة في شبه الجزيرة العربية.، فهي تكشف عن أساليب التعبير وتكوينها اللغوي، فضلا عن الأنماط البلاغية التي استعملت آنذاك؛ إذ إن كل خطاب موجّه نحو متلقٍ يحمل قصداً إقناعيًا هو خطاب بلاغي، سواء كان في حجر، أم ورق، أم شفاه.

ويؤكد أحمد المتوكل في هذا المضمار أن "البلاغة التداولية تشتغل على اللغة في السياق، وتتنظر إلى الملفوظ من زاوية الوظيفة التواصلية التي يؤديها" (المتوكل، 2005)

وعليه فإن النقوش العربية القديمة تمثل نمطًا بلاغيًا خاصًا، لا من منظور الشكل فقط، بل من منظور الوظيفة التداولية التي تُمارس فيه، نحو: شعائرية مثل "النذر والدعاء" أو تحذيرية مثل "تغيير النقش أو تدنيس الموقع"، أو سلطوية: مثل "تثبيت حدود، إعلان

ولاء" (Searle، 1969)، ذلك عبر لغة محكمة، موجزة، محملة بالإيحاء والإلزام، ما يجعلها بيئة خصبة للتناقض البلاغي. وهي على أربعة أقسام رئيسية:

● **الثمودية:** تحمل طابعاً شعائرياً أو شخصياً، وقد انتشرت بشكل واسع.

● **الحيانية:** تمتاز فيها اللغة بوصفها أداة تثبيت الهوية الدينية والقبلية.

● **الصفوية:** تُعنى غالباً بتوثيق الرحلات أو النذور، وتنتشر في شمال الجزيرة.

● **النبطية:** تشير الى وظائف سلطوية وتنظيمية واضحة وتعد من أقرب النقوش إلى العربية الفصحى (Macdonald، 2010).

استعملت هذه النقوش لتحليل بدايات اللغة العربية وتطورها البلاغي كونها من أقدم الشواهد الكتابية التي تركها العرب في شمال شبه الجزيرة العربية، إذ تعود إلى أزمنة تسبق الإسلام بقرون، ما بين القرن الخامس قبل الميلاد والقرن الثالث الميلادي. وقد كتبها أفراد من قبائل عربية كانت تسكن الحجاز، ونجد، والشام وصحراء الأردن في سياقات دينية، واجتماعية؛ ذلك أنها استعملت في الكتابة الرسمية لعرب الشمال ((Beeston، 1970 لتشكلت لاحقاً العربية الفصحى. لذا صنّفها اللغويون ضمن ما يُعرف باللغات العربية الشمالية القديمة، التي تُعد جسراً تطورياً نحو العربية الفصحى. ويؤكد جواد علي في تاريخ العرب قبل الإسلام أن "النقوش الثمودية والصفوية والحيانية تعد لهجات عربية مبكرة، وإن لم تكن فصحى، إلا أنها تمثل امتداداً للعربية قبل أن تستقر في شكلها الفصيح المعروف بعد الإسلام" (علي، 2001).

فهي تقدم بيئة لغوية واقعية استعملت فيها البلاغة والتناقض والتوازي - على الرغم من تفاوت مستوى العربية - إلا أنها تمثل بذور التراكيب البلاغية، والوعي بالحجة والمفارقة، واستعمال الصورة الفنية والبيان. وهذا ما يجعلها صالحة تماماً للتحليل البلاغي، لا بوصفها "فصحى مكتملة"، بل بوصفها نماذج لنشأة البلاغة العربية قبل التدوين.

المبحث الثاني: التناقض والسلطة اللغوية في النقوش العربية

للتناقض البلاغي في النقوش العربية القديمة أثر في تجلي السلطة اللغوية التي تمثل أحد مفاهيم تحليل الخطاب؛ فهي تتحكم في كيفية بناء المعاني وصياغة الحقائق، فاللغة لم تكن مجرد وسيلة للتواصل بل كانت أداة لترسيخ السلطة، وتوجيه الفكر، وبناء الإقناع (بيستون، 1996) وقد عزز التناقض البلاغي ذلك عن طريق إعادة تعريف المفاهيم، وتوجيه الإدراك الجماعي، وإثبات الهيمنة الفكرية أو السياسية، والقيم الأخلاقية، ومن ثم الهوية الثقافية؛ ففي نقش:

- نبطي من البتراء اعتمد التناقض للمدلولية على الهيمنة الفكرية نصه:

لنستخد بكمه، والضعف قوة إن أحسن صاحبه تدبيره. (السيوفي، 2015، ص.209)

أي: "القوة ضعفت إن لم تُستخدم بحكمة، والضعف قوة إن أحسن صاحبه تدبيره." (السيوفي، 2015، ص.209)

فقد أفصح النقش عن تحول القوة الى ضعف وبالعكس معززا مفهوم أن السلطة الحقيقية لا تعتمد على القوة المطلقة، بل على إدارتها بحكمة. بذلك يكشف عن الفكرة الشائعة في نقوش السياسة التي تبين أهمية الحاكم العادل الذي لا يسرف في استخدام سلطته (علي، 2001). ومنه نقش لحياني استعمل التناقض البلاغي لإبراز صورة الملك كحاكم قوي لكنه مسؤول عن شعبه (بيستون، 1996).

٤٢٨٢٧٤ ٢٨٤١ ، ٤٠٤٨ ٤٢٨ ٤٢٧٤

أي: "الملك قويٌّ بعدله، وضعيفٌ إن ظلم." (بيستون، 1996).

فقد أظهر التناقض بين القوة والضعف أن قوة الحاكم الحقيقية تأتي من عدله، وليس من سلطته المطلقة. فالملك ليس مجرد حاكم بل هو خادم للعدالة، وإذا حاد عن ذلك صار ضعيفا في نظر شعبه وفي ذلك حجة للإقناع بشرعيته (علي، 2001). وفي هذا المضممار وظفت النقوش السياسية لإضفاء الشرعية على الحكام والقادة ذلك بتصويرهم أفرادا يجمعون بين السلطة والخضوع، والقوة والعدل (احمد، 1017) نحو نص لنقش صفوي من شمال الجزيرة العربية:

٤٢٢٢) ١٢٢) ٢٢٤٢٢

"الحاكم سيّدٌ وهو خادم، والعبد عبْدٌ وهو حُرٌّ إن ملك نفسه" (كمال، 2012، ص.97).

وعليه أفاد استعمال التناقض البلاغي في تشكيل الإدراك الجماعي لفرض قيمة ما عن طريق تقديمها حقائق مسلماً بها (السيوفي، 2015).

-ثمودي من شمال الجزيرة العربية (القرن الثاني قبل الميلاد)، استعمل التناقض لترسيخ القيم الأخلاقية والاجتماعية؛ لتقديم بعض المفاهيم على أنها تناقضات وهمية لإقناع المتلقي بقبولها حقائق طبيعية (ميرفي، 2018)؛ نصه:

٢٢٢٢٢٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢٢ ٢٢٢٢ ٢٢٢٢

أي: "الغني فقيرٌ إن طمع، والفقير غنيٌّ إن قنع." (علي، 2001، ص.412).

ذلك أنه أعاد تعريف مفهومي الغنى والفقير بطريقة غير تقليدية إذ لم يكن يُقاس الغنى بالمال فقط، وإنما بالقناعة والرضا. هادفا إلى تعزيز القيم الأخلاقية وتأكيد أهمية القناعة في تحقيق السعادة والسلام النفسي، وهو ما كان شائعا في الفلسفة الأخلاقية للمجتمعات العربية القديمة.

هذا وقد عكس نقش لحياني من شمال الجزيرة العربية (القرن الأول قبل الميلاد)، السلطة الأخلاقية التي حاول التجار ترسيخها في المجتمع، ونصه:

٢٢٢) ٤٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢٢٢

أي: "التاجر غنيٌّ بأمانته، وفقيرٌ إن خان." (ميرفي، 2018، ص.235)

ذلك لتأكيد أهمية الصدق كعامل أساسي للنجاح، والثقة في التعاملات التجارية التي تعد أساسا مهما لترباط المجتمع.

رئيس لبناء الحجج وإقناع المتلقي وإبراز الحقائق المتضادة، وتحفيز التفكير النقدي، فضلا عن إعادة تشكيل المفاهيم وتقديم معانٍ متعددة وفقاً للسياق الثقافي والاجتماعي (بيستون، 1996). وعلى النحو الآتي:

-إعادة تعريف المفاهيم بالتناقض الدلالي

تستعمل النقوش العربية القديمة التناقض في توليد معانٍ جديدة بإعادة تفسير القيم التقليدية مما يجعل المتلقي يعيد التفكير في مدلولاتها، نحو: نقش ثمودي من شمال الجزيرة العربية (القرن الثاني قبل الميلاد):

٤٦٢٢٢٢ ١٤٦ ٢٢٢ ٤٦٢٢٢

أي: "الصمت حجةٌ إن كان في موضعه، والكلام ضعفٌ إن لم يكن له معنى". (علي، 2001، ص.417).
إذ وظّف النقش التناقض لإعادة تعريف دور الصمت والكلام في الإقناع.

ونحو: نقش نبطي نصه:

٤٦٢٢٢٢ ١٤٦ ٢٢٢ ٤٦٢٢٢

أي: "الراحة تعبٌ لمن لم يعمل، والتعب راحةٌ لمن أدرك قيمته." (السيوفي، 2015).
إذ أعاد النقش توليد دلالة جديدة لمفهوم الراحة والتعب، فالراحة لا تعني الخمول، وإنما مصدر للقلق إن لم تكن عن إنجاز؛ ومن ثم فإن ذلك يؤدي بالمتلقي إلى إعادة التفكير في القيم العملية والاجتماعية.
-التوازي التركيبي:

يعد التوازي التركيبي من الاستراتيجيات التي وظفتها النقوش بالتناقض البلاغي لإنتاج معانٍ متقابلة لكنها متكاملة؛ إذ تستعمل الجمل المتوازية لإظهار التناقض بشكل أقوى لجذب المتلقي والتأثير فيه، نحو: نقش صفوي:

٤٦٢٢٢٢ ١٤٦ ٢٢٢ ٤٦٢٢٢

أي: المعرفة جهلٌ إن لم تُستخدم، والجهل معرفةٌ إن سعى صاحبه للتعلم." (رايت، 1988، ص.145).
فالمعرفة من دون تطبيق لا قيمة لها، إلا أن الجهل قد يكون بداية للعلم أن إدراك صاحبه ذلك وسعى إلى التعلم (كمال، 2012)، ومن ثم تبرز أهمية التطبيق العملي للعمل ويُعاد تعريف الجهل بوصفه وعياً ذاتياً بدلا من عدّه مجرد نقص في العلم (بيسون، 1996).

ونحو نقش نبطي:

٤٦٢٢٢٢ ١٤٦ ٢٢٢ ٤٦٢٢٢

أي: "القوي ضعيفٌ إن لم يملك حكيمته، والضعيف قويٌّ إن أحسن تدبيره." (ست، 1968، ص.219) قد يخلق هذا النوع من التناقض تأملا في المفاهيم الاجتماعية المرتبطة بمدلولي القوة والضعف؛ إذ وُلد التوازي العكسي دلالات جديدة تبين العلاقة الجدلية

بين القوة والضعف؛ ذلك أن القوة قد تشكل خطورة على صاحبها أو المجتمع إن لم تضبط وتستعمل في مضمارها الصحيح، بينما قد يكون الضعف عاملاً مهماً للنجاح إن أحسن استغلاله.

المجاز والمبالغة:

وهما إحدى الاستراتيجيات التي استعملتها النقوش بوساطة التناقض البلاغي لتوسيع مفهوماً عبر توليد مدلولات جديدة ومنه: نقش نبطي:

ᠮᠣᠩᠭᠠᠨ ᠮᠣᠩᠭᠠᠨ ᠮᠣᠩᠭᠠᠨ ᠮᠣᠩᠭᠠᠨ

أي: الشمس تبكي إن غاب العدل، والقمر يبتسم إن ساد الإنصاف. (السيوفي، 2015، ص.195؛ علي، 2001، ص.412) ولد النقش دلالة جديدة عن طريق إسناد أفعال بشرية (البكاء، الابتسام) إلى كائنات غير عاقلة (الشمس، القمر) بالاستعارة ثم بالغ في تأثير العدل والظلم، إذ يصورهما بوصفهما قوى تؤثر على حركة الطبيعة نفسها؛ بذلك جعل القارئ يشعر بأن العدل ليس مجرد مفهوم اجتماعي، بل هو مبدأ كوني يؤثر في كل شيء، حتى الشمس والقمر. ونحو: نقش ثمودي:

ᠮᠣᠩᠭᠠᠨ ᠮᠣᠩᠭᠠᠨ ᠮᠣᠩᠭᠠᠨ ᠮᠣᠩᠭᠠᠨ

أي: "الرياح تهمس للحكماء، والعواصف تصرخ في آذان الجهلاء." (بيسون، 1996، ص.219) أسند "الهمس" و"الصراخ" إلى الرياح والعواصف مجازاً؛ إذ يصور النقش العواصف على أنها "تصرخ" وكأنها تحاول إجبار الجهلاء على الاستماع، بينما يُقال إن الرياح "تهمس" للحكماء، مما يعني أن الحكماء يستمعون للأفكار العميقة حتى لو قيلت بلطف، بينما الجهلاء لا يفهمون إلا إذا أُجبروا على السماع. وفي ذلك تحفيز ذهن المتلقي على التنبيه للأفكار العميقة وإن قدمت بأسلوب يسير، بدلاً من انتظار الصدمات القوية لفهم الحقيقة. -التناقض الحجاجي:

وهو أحد أنواع التناقض البلاغي الذي يستعمل لإقناع المتلقي بمقصود معين بالجمع بين أفكار تبدو متضادة لكنها تؤدي معنى جديداً أكثر عمقا؛ ويرى بيرلمان وأولبريشتس-تيتيكا (1996) أن "التناقض في الحجاج ليس خللاً منطقياً، بل استراتيجية خطابية تهدف إلى دفع المتلقي نحو إعادة النظر في المسلمات التقليدية، بتقديم مفاهيم متعارضين ظاهرياً لإبراز الحقيقة الكامنة خلفهما" (Perelman, 1996, p.176) ومنه نقش لحياني:

ᠮᠣᠩᠭᠠᠨ ᠮᠣᠩᠭᠠᠨ ᠮᠣᠩᠭᠠᠨ ᠮᠣᠩᠭᠠᠨ

أي: "من ملك الناس بغير حق صار عبداً لهم، ومن خدمهم بحق صار ملكاً عليهم" (باشا، 1910، ص.47). فقد قلب النص العلاقة بين السلطة والخضوع؛ ذلك أن الملك بغير حق (أي بالظلم أو القوة) يُصبح في الحقيقة عبداً لمخاوفه ولرفض الناس له، بينما الخدمة بالعدل (وهي نقيض الملك الظالم) تتحول إلى أداة حقيقية للسيادة والقيادة. وعليه استعمل التناقض لإقناع المتلقي بأن الخدمة والعدل أرسخ من الظلم في تحقيق السيادة.

ومنه نقش نبطي من جنب اليمين (القرن الأول الميلادي):

הגות אפלטון על אמת וזיוף

أي: "الحقيقة كذبٌ إن لم يُبحث عنها، والكذب حقيقةٌ إن صدقه الناس." (السيوفي، 2015، ص. 201).
فقد استعمل النقش الأسلوب الحجاجي في إقناع المتلقي بأهمية التحقق من المعلومات قبل تصديقها؛ ذلك أن الحقيقة لا تُمنح بل تُكتسب بالبحث، وأن الأكاذيب قد تصبح واقعًا إذا آمن بها الناس.
-التناقض الجدلي:

يُستعمل التناقض الجدلي في بعض النقوش لدفع القارئ إلى التفكير النقدي وإعادة تقييم المسلمات (الجلاد، 2015). نحو نقش لحياني من شمال غرب الجزيرة العربية (القرن الأول قبل الميلاد):

X٢٢٤ X٢٢٤ ٥1٤ ٥٢٢ ٤٢٢٧

أي: "المعلم جاهلٌ إن لم يتعلم، والجاهل معلمٌ إن أدرك جهله." (ميرفي، 2018، ص. 221). إذ أفصح عن اتجاه فلسفي جدلي يُشبهه نظرية سقراط في المعرفة، إذ يكون الوعي بالجهل بدء الحكمة. ومن ثم يُثير التفكير العميق لدى المتلقي حول مفهوم العلم والجهل؛ مما يعزز التأثير والإقناع.
ومنه نقش صفوي (شمال الجزيرة العربية، القرن الثالث الميلادي):

٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢

أي: "الهزيمة نصرٌ إن تعلمت منها، والنصر هزيمةٌ إن جلب الغرور." (رايت، 1988، ص. 144).
بين النقش بالتناقض الجدلي أن القيمة الحقيقية للنصر أو الهزيمة لا تعتمد على الحدث ذاته، بل على كيفية التعامل معه. وقد استعمل هذا النوع من التناقض في الخطابة العسكرية والسياسية القديمة (عبد الله، 2007).
-المفارقة البلاغية:

تعتمد النقوش على المفارقة البلاغية، التي تجمع بين معنيين متناقضين ظاهريًا، لكنهما يعكسان حقيقة أعمق (السيوفي، 2015)، نحو نقش نبطي من البتراء (القرن الأول الميلادي):

٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢

أي: "الحر عبد إن استعبده شهواته، والعبد حر إن ملك نفسه." (Paris، 1889)

قدّم النقش الذي وظّف المفارقة عن طريق التناقض البلاغي رؤية فلسفية حول مفهوم الحرية والعبودية؛ إذ يبدو ظاهريًا أن هناك تعارضًا بين المفهومين، لكن عند تأمله يكشف أن الحرية الحقيقية ليست مجرد غياب القيود الخارجية، بل القدرة على التحكم في النفس (علي، 2001).
ومنه نقش نبطي أيضًا:

٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢ ٢٢٢

أي: "الملك حرٌّ وهو مقيدٌ، والعبد مقيدٌ وهو حرٌّ." (السيوفي، 2015، ص.195).

فالملك مع ما يتمتع به من سلطة يكون مقيدًا بالتزامات الحكم والقوانين، مما يجعله غير قادر على التصرف بحرية مطلقة. أما العبد على الرغم من وضعه الاجتماعي فقد يكون حرًّا فكريًا وروحياً، ولا يتحمل مسؤوليات الحكم أو القيود السياسية. وعليه فإن الحرية ليست مجرد وضع قانوني أو اجتماعي، بل تعتمد على السياق الشخصي والسياسي.

الخاتمة:

يعد هذا البحث محاولة علمية جادة للكشف عن التناقض البلاغي في النقوش العربية القديمة، كونها ظاهرة لغوية، تداولية، متعددة الأبعاد، تتجاوز حدود البنية اللفظية إلى عمق التجربة الثقافية والحضارية للعرب قبل الإسلام.

ولعل أهم النتائج التي تم التوصل إليها فيه هي:

- إن التناقض البلاغي في النقوش لم يكن مجرد زخرف أسلوبية، بل كان أداة للتأثير والإقناع، ووسيلة لتوجيه المتلقي إلى التفكير النقدي وإعادة النظر في المسلمات الاجتماعية والأخلاقية والدينية. فالجدل بين الحياة والموت، القوة والضعف، الحرية والعبودية، القرب والبعد، كشف عن نظام رمزي يعكس جدلية الوجود الإنساني في أبعاده الفردية والجماعية.

- بينت الدراسة أن التناقض كان وسيلة لإعادة بناء السلطة اللغوية؛ فالخطاب في النقوش لم يكن معزولاً عن المجال التداولي، بل كان جزءاً من منظومة الخطابة والحجاج التي تخدم أهدافاً اجتماعية وسياسية واضحة.

- أسهم التناقض في ترسيخ الهوية الثقافية للعرب القدماء؛ إذ تم توظيفه لدمج التجربة الفردية في الذاكرة الجمعية، وربط الفرد بقيم المجتمع الكبرى. فالحرية لم تُختزل في وضع اجتماعي، بل صارت مفهوماً أخلاقياً وفلسفياً، والقوة لم تُفهم بوصفها قدرة جسدية بل بعدياً ضبطاً للنفس.

- مثل التناقض البلاغي في النقوش العربية القديمة أحد أبرز المداخل لفهم الخطاب العربي المبكر قبل التدوين القرآني، ويسهم في الكشف عن آليات التفكير والجدل لدى العرب، وعن القيم التي شكّلت وجدانهم الجمعي.

وعليه فإن النقوش ليست مجرد وثائق تاريخية جامدة، بل نصوص بلاغية تداولية، تحمل في بنيتها تناقضاً واعياً مقصوداً، يسعى إلى الإقناع، التأثير، وإعادة تشكيل القيم. ومن هنا، فإن إعادة قراءتها من منظور بلاغي وفلسفي يثري فهمنا للثقافة العربية القديمة، ويعيد النظر إلى تراث كتابي طالما حُصر في نطاق التوثيق الأثري، من دون النفاذ إلى عمقه الرمزي والمعرفي.

المصادر والمراجع العربية:

1. أحمد، محمد عبد القادر، الخطاب السياسي في النقوش العربية الشمالية القديمة: دراسة تحليلية، ط2، بيروت: دار الفكر العربي.

2. باشا، أحمد زكي. (1910). الكتابات العربية في الحجر (مدائن صالح)، ط. 1، المطبعة الأميرية، القاهرة.
3. بيستون، ألفريد. (1996). النقوش العربية الجنوبية وأهميتها التاريخية، ط. 1. بيروت: دار الساقى.
4. الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط. 4، دار الجيل، بيروت، 1992.
5. الجرجاني، عبد القاهر (1984). دلائل الإعجاز. تحقيق: محمود شاكر. القاهرة: مكتبة الخانجي.
6. الجداد، أحمد، النقوش الصفوية: دراسة في اللغة والبنية والدلالة، ط. 1، معهد الدراسات الشرقية، جامعة هلسنكي.
7. رايت، ويليام. (1988). النقوش الصفوية: دراسة لغوية وتاريخية. أكسفورد، ط. 2، منشورات جامعة أكسفورد.
8. ريكور، بول. (2006). الخطاب والتأويل، ترجمة سعيد الغانمي، ط. 1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.
9. ست، هاري. فيلبي، جون. (1968). أرض مدين، ط. 2، ترجمة صالح العلي، دار النهضة العربية، بيروت.
10. السكاكي، يوسف بن أبي بكر. (1987). مفتاح العلوم، ط. 4. بيروت: دار الكتب العلمية.
11. السيوفي، خالد. (2015). البلاغة العربية في النقوش النبطية، ط. 1. عمان: دار الجيل.
12. عبد الله، يوسف محمد. (1990). دراسات في النقوش النبطية، ط. 1، جامعة اليرموك، إربد.
13. عبد الله، يوسف محمد. (2007). النقوش العربية الشمالية: دراسة في التاريخ واللغة والفكر، ط. 1، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان.
14. علي، جواد. (2001). المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء السادس، ط. 4، دار الساقى، بيروت.
15. كمال، حسن. (2012). دراسات في النقوش الجاهلية، ط. 3. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
16. ماكدونالد، ميخائيل، النقوش النبطية: دراسة تحليلية، ط. 1، جامعة أكسفورد، أكسفورد.
17. المتوكل. (2005). مقارنة تداولية للخطاب البلاغي، ط. 1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.
18. مجرفي، جوناثان. (2018). اللغة والسياسة في نقوش ما قبل الإسلام، ط. 1. لندن: منشورات جامعة لندن.
19. جنديل، رقية حسن. (2025). الاساليب الحجاجي البلاغية واثرها في الإقناع "الدرة اليتيمة" نموذجاً، جامعة واسط، مجلة واسط للعلوم الانسانية، العدد الرابع، مجلد 21، <https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol21.Iss4.1154>

- ❖ Beeston. A.F.L. (1970). The Arabic Language Today, London: Hutchinson University Library.
- ❖ Macdonald, M.C.A. (2010). The Linguistic Map of Pre-Islamic Arabia, Oxford University Press.
- ❖ Paris, Nabataea. (1902). Corpus Inscription Semitic arum, Pars II: Inscriptions.
- ❖ Perelman, Ch. (1996). & Olbrechts-Tyteca, L. The New Rhetoric: A Treatise on Argumentation. University of Notre Dame Press, 2nd Edition.
- ❖ Perelman, Chaim, and Lucie Olbrechts-Tyteca. The New Rhetoric: A Treatise on Argumentation. (1969). Translated by John Wilkinson and Purcell Weaver, University of Notre Dame Press .
- ❖ Searle, John. (1969). Speech Acts, Cambridge University Press .
- ❖ Van Dijk, Teun A. (2006). "Discourse, Context and Cognition." Discourse Studies, vol. 8, no. 1.